طبق الاصل

مؤيد نعمة

حوار مع نوح فيلدمان

عن صياغة الدستور في البلدان المسلمة

في هذا الحوار، يتحدث نوح فيلدمان، وهو أستاذ القانون والمتخصص بالفلسفة الإسلامية، عن تجربتين دستوريتين حديثتين أسهم هو شخصيا فيهما، فقد كان مستشار وزارة الخارجية في شؤون الحرية الدينية في أثناء تحرير الدستور الأفغاني. وفي العراق، كان، من منتصف نيسان حتى تموز من العام ٢٠٠٣، مستشارا دستوريا لدى سلطة التحالف المؤقتة، وأعطى المشورة لعدد من أعضاء مجلس الحكم المؤقت. كما استشير في تحرير عدد من الوثائق الدستورية المؤقتة.

س . في كتابك "بعد الجهاد، أميركا والصراع من اجل ديمقراطية إسلامية"، تقول أن الإسلام والديمقراطية ليسا متنافرين وبأن القيم الإسلامية والأفكار الديمقراطية يمكن أن يتعايشا في حضن مجتمع مزدهر. كيف توصلت لمثل هذا الاستنتاج؟

فيلدمان: هناك اعتبارات عدة تدخل في هذا المجال. أولها: يؤكد العديد من المسلمين وعلى رؤوس الأشهاد أن الديمقراطية والإسلام يمكن أن يمضيا صنوين، زد على ذلك، هناك بلدان إسلامية ديمقراطية، تسير الديمقراطية فيها بنحو جيد نسبيا، تركيا أوضح مثال على ذلك، بل ربما يكون بوسعنا ذكر اندونيسيا أو بنغلادش كأمثلة عن ديمقراطيات تترسخ الآن. وثاني اعتبار هو أن اصلاحات ديمقراطية قد جرى تبنيها مؤخرا في بلدان إسلامية أخرى . ونذكر الدستور البحريني الجديد باعتباره حالة واضحة.

في الصعيد العملي، نرى أن وجود ديمقراطيات إسلامية أمر ممكن، وهي موجودة فعلا، وفي المستوى النظري نجد عددا يتزايد من المثقفين والناس العاديين في العالم المسلم يعلنون أن تقاليد الإسلام وتقاليد الديمقراطية لا يتنافران، وبالمستطاع التوصل إلى معايشتهما معا.

س . لما تحين لحظة صياغة دستور ديمقراطي في بلد مسلم، ما هي الاعتبارات والمصاعب الخاصة التي تواجه العمل؟

فيلدمان . الأول يتموضع في المستوى النظري. فقد آل الناس إلى رأي مفاده أن المقاربتين ليستا متنافرتين. ومن حقيقة أن الله هو الحاكم لدى المسلمين، يحسب البعض أن ليس بوسع البشر البت بأمر الحكومة. إذن قد يكون من العسير المواءمة بين سلطة الشعب السياسية وبين حكم الله.

لكن، وما زلنا نتكلم في المستوى النظري، يمكن الإجابة في أطار الإسلام أن على الرغم من ان الله هو الحاكم، فان شرائعه خاضعة دائماً لتأويل البشر، وبأن الحكومة هي من فعل البشر، في حياة الفرد اليومية. أضف إلى ذلك نحن نعتقد بوجود عدد من الحقوق الأساسية في الديمقراطية، والتي تتعالى على ما قد يراه بعض الناس عدلا أو يراه ظلما في لحظة ما، كالحق في الحياة وفي الحرية.

وبعد، فهناك تجربة عملية في إطار الدستور تقوم في إدراك المؤسسات التي ستكون وسيطا بين القيم والقيم الديمقراطية، التي عندما ننظر إليها من الخارج، ربما تظهر متناقضة.

أفغانستان

س . ما المشكلات البنائية التي ربما واجهها صاغة الدستور في أفغانستان؟

فيلدمان . هناك مشكلات كبيرة تظهر في أثناء إعداد أي دستور كان. وهي لا تتصل بقضية المواءمة بين الإسلام والديمقراطية. فمن الوارد أن توجد سلطة تنفيذية قوية أو سلطة تنفيذية ضعيفة في أي ديمقراطية إسلامية، أي أن الأمر يتعلق بقضايا عامة مهمة لأي دستور. ففي أفغانستان، هناك حقيقة أن الدستور يصرح أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة. لكنه يحدد أيضا أن الدولة الأفغانية ستنظم انتخابات وستحترم القيم الديمقراطية.

إن المشتركين في "لوايا جيرغا"، وهو اكبر مجلس أفغاني تقليدي، أنصتوا بعناية للنواب، في ثاني يوم من اجتماعه، الذي جرى في ١٥ ديسمبر من العام ٢٠٠٣ في كابول. إذ اجتمعت الشخصيات بغية صياغة دستور البلاد الجديد.

وكان على الأفغان تسوية المسالة البنائية في تطبيق القانون الإسلامي. واقترحوا شرطا هو أصلا موجود في مشروع الدستور الإيراني للعام ١٩٠٦ الذي يقضي بأن أي قانون يتبناه الشعب يجب ألا يتعارض مع الإسلام. وأنشأوا أيضا محكمة دستورية لها السلطة مبدأيا في فحص احتمال خرق قانون ما لقيم الإسلام. إذن لدينا مثال على بلد ظهر فيه صراع محتمل وأوجد حلاً لذلك الصراع. ولكي أكون دقيقا، لربما أقول أن الأفغان صاغوا دستورا يسوي الصراع في ما بينهم.

س . اعتقد أن المحكمة العليا ستتشكل في الوقت نفسه من قضاة مدنيين وقضاة إسلاميين. أتعتقد أن هذا الوضع ممكن؟

فيلدمان . يتعلق الأمر بالتجربة. إن ذلك ممكن لكنه غير مضمون إطلاقا. فمن الممكن تجربة هيئة قادرة على الاضطلاع بدور الوسيط بين هاتين المجموعتين من القيم، وذلك في شروط سيعدها باقي الشعب الأفغاني على أنها شرعية.

س . هل تلعب الشريعة الإسلامية دورا آخر في الدستور، خارج المحكمة العليا، والجزء الذي ذكرته أنت للتو في عدم تبني أي قانون يتعارض مع الإسلام؟

فيلدمان . هناك ضمان في حالة تطبيق الشريعة وهو وجوب احترام الشريعة التي ينتمي إليها الفرد، بحيث أن أي شخص لن يلزم على إتباع منحى شريعة تخالف شريعته. وهذا الضمان ينص عليه الدستور. وهذه ربما هي أهم نقطة يكون للشريعة فيها دور تلعبه. ومن الجدير ملاحظة أن أي نص لا يحدد أن تكون الشريعة هي مصدر التشريع أو مصدر التشريع في هذا الدستور.

س . هل هناك التباسات أو ثغرات مقصودة في الدستور الأفغاني؟ هل هناك مثلا قضايا لن يكون ربما بالمستطاع البت فيها، يمكن الحصول فيها على اتفاق أو توافق وأن حلها هو أمر مرجأ؟

فيلدمان . الدستور يضمن مساواة المرأة، لكنه لا يحدد ما سيحصل في ما لو وجدت تدابير خاصة في الشريعة الإسلامية لا تتواءم مع هذه المساواة.

من الممكن أن تؤول المحكمة الدستورية الشريعة على أنها تناصر المساواة ولعل ذلك سيكون حلا ممكنا. هذه المسألة لم تعالج فيه بشكل ظاهر، بحيث أن هناك ثغرة قائمة فعلا. وعليه من مهام المحكمة تسوية هذا المشكل.

س . أعربت الجماعات النسوية عن خشيتها من التباس ضمانات حقوق المرأة والتي أشتمل عليها الدستور، أو لم يفصح عنها بالقوة التي تمنوها.

فيلدمان . عدد محدد من المقاعد خصصت للنساء في الهيئة التشريعية ويوجد في الدستور ضمان صريح بالمساواة بالنسبة للنساء. هناك ايضا ضمان ان افغانستان ستحترم التزاماتها بالمعاهدات الدولية، التي تتضمن الميثاق الخاص بنبذ كل اشكال التمييز ازاء النساء (CEDAW). وهذه ضمانات قوية ليست مدونة في دستور الولايات المتحدة. وليست هناك مقاعد مخصصة للنساء في هيئتنا التشريعية. وليس هناك تأكيد واضح على مساواة المراة في دستورنا ولم نصادق ابدا على ميثاق (CEDAW). بالامكان فعل الافضل دائما لكن، في رايي، سجلت افغانستان انطلاقة طيبة.

العراق

س . لنتحدث عن العراق. تبنى مجلس الحكم المؤقت في ٨ من آذار دستورا مؤقتا. على ماذا نص؟

فيلدمان . نص مبدأيا على إنشاء بنية حكومية، في البداية خلال المدة الانتقالية التي سبقت الانتخابات الوطنية التي جرت في كانون الثاني، وأرسى بنية قامت عليها الحكومة المنتخبة. وفي المستوى العملي، الدستور مطروح للتحوير أو التغيير الآن.

س . هل يمكن القول أن ضغوط مورست من اجل التعديل؟

فيلدمان . سبق أن مورست ضغوطاً من اجل إجراء تغييرات فيه. بل في يوم التوقيع عليه، أعرب آية الله السيستاني عن اعتراضاته بهذا الصدد. وبدا أن قادة من الشيعة كانوا صدى لانشغالات السيستاني. فقد اعترض السيستاني على الرئاسة المتكونة من ثلاثة أعضاء وجوانب أخرى، لكنه قال أن للجمعية الوطنية السلطة على تعديل هذه الوثيقة، وأعلن صراحة عن رغبته في تعديل المثالثة الرئاسية.

س . إذن فالبنية الحكومية هي نظام رئاسي بدلا من النظام البرلماني؟

فيلدمان . كلا، الحقيقة، أنه نظام رئاسي يتألف من رئيس وزراء، ورئاسة مكونة من ثلاثة أعضاء، يتمتعون بسلطات حقيقية، أي سلطة الفيتو، لكنها ليست السلطة التشريعية الأساسية.

س . ماذا يقول الدستور المؤقت عن حقوق الإنسان والحرية الدينية؟

فيلدمان . هو يضمن الحرية الدينية، وحرية المعتقد، وحرية الفكر، بلغة مستعارة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وهو يحدد أيضا سلسلة من حقوق الإنسان المألوفة والمستلة من الوثائق العالمية الخاصة بحقوق الإنسان: حق الحماية من التعرض للتعذيب، وحق الحماية المتساوية في القانون، وحق الإجراءات المنتظمة، الخ.

س . على هذا هو يقترب من إعلان حقيقي لحقوق الإنسان؟

فيلدمان . لعلي أصفه بالفعل كإعلان تام لحقوق الإنسان. فهو يضمن المساواة بين العراقيين جميعهم، رجالا ونساء، بمعزل عن دينهم، أو الأثنية التي ينتمون إليها، أو أصلهم القومي. هو إعلان مكتمل جدا لحقوق الإنسان، وبهذا فهو وثيقة مهمة في هذا المجال.

س . هل ينص على مشاركة النساء في الحكومة؟

فيلدمان . نعم. يصرح قانون إدارة الدولة المؤقت بأن الجمعية الوطنية مبنية بطريقة تضمن للنساء ٢٥٪ من المقاعد في الجمعية الوطنية. ويتساءل المرء هل هذه هي حصة دقيقة أم هدف مطلوب بلوغه ؟ ذلك أن لغة القانون مزدوجة بهذا الصدد، لكن لربما أقول انه يقترب من المطلب الرسمي في أن تتضمن الجمعية الوطنية في الأقل ٢٥٪ من النساء.

س . هل كنت تتوقع أن تكون هذه الوثيقة موضع نقاشات عامة واسعة؟

فيلدمان . نعم. إذ أن هذه الوثيقة أعدت من دون مشاركة كبيرة من الناس. وهذا خلل ادركه الجميع. وها هي الآن موضع نقاش عام، لكن يبقى هل ستتغير بكاملها أم ستعدل بعض جوانبها؟

س . في ما يتعلق بالنشاط السياسي، هل يمنع الدستور العراقي المؤقت، كما يفعل الدستور الأفغاني، ارتكاز الأحزاب السياسية على جماعات إقليمية أو أثنية؟

فيلدمان . كلا هو لا يمنعها، فلو كان قد منعها، فما كان ليتماشى مع تنظيمات سياسية مقترنة بالأحزاب الكردية وهي المتحدرة من كردستان.

س . إذا كان دستورا أفغانستان والعراق حققا نجاحا معينا، ويشجعان على إرساء ومنح حريات جديدة إلى شعبيهما، فما آثار ذلك على المنطقة؟

فيلدمان . اعتقد أن ذلك في طوره لإخراج المغيب من الحرية والديمقراطية لدى عدد من الشعوب المجاورة. وكانت إيران مسرحا لتحول ديمقراطي واعد، فقد نادى رجال الدين الشيعة العراقيون بانتخابات حرة ومفتوحة، وطالب رجال الدين الشيعة الإيرانيون بانتخابات محدودة، وهذا ما سيكون له اثر على إيران. كذلك شهدت العربية السعودية انفتاحا ملحوظا وبدأت بالانتخابات البلدية. وفي سوريا هناك شعور متنام بضرورة إجراء الإصلاحات. بالمقابل لو حصل إخفاق ديمقراطي في العراق، فسيكون مردود ذلك سيئا على المنطقة بأكملها. فالذين ينادون بالليبرالية والديمقراطية سيصلون إلى قناعة مفادها أن الديمقراطية بنية حكومية لا تصلح للعيش في البلدان ذات الأغلبية المسلمة.

س . الكثير يتساءلون عما سيحدث لو أنتخب المتطرفون ديمقراطيا، وأنت تذكر في كتابك مثالا مربكا عن ذلك، هو مثال الجزائر.

فيلدمان . واضح أن في الجزائر، وعلى نقيض ما يعتقد أكثر الناس، ليس الإسلاميون من اغرق البلاد في الحرب الأهلية، فالإسلاميون لم يعلنوا أنهم سيلغون الديمقراطية، بل على العكس، أعلنوا عن استعدادهم للمشاركة في الانتخابات ديمقراطيا. ولم تكن لديهم الإمكانية أبدا في إثبات ذلك بطريقة أو بأخرى لأن الحكومة العسكرية هي التي ألغت نتائج الانتخابات؛ وهي التي ألغت الحرية في البلاد. اعتقد أن في العالم المسلم وفي الأماكن التي توفرت فيها للناس حرية نسبية، أكدت الانتخابات نجاح الأحزاب الإسلامية. وهذا ما حصل في العراق، وسيحصل في أفغانستان. فهذا هو الميل العام الذي نميزه فيها. وذلك لا يعني أن هذه الأحزاب سوف تتبنى بالضرورة موقفا مناهضا للديمقراطية. وأمامك مثال تركيا، البلد الذي يتبوأ السلطة فيه حزب إسلامي معتدل، حتى وإن لم يحمل هذه التسمية. فالعلمانية التركية تمنع ذلك، لكنه حزب إسلامي يحكم بطريقة ديمقراطية جدا.

س . إذن ما أن وصلوا إلى السلطة حتى غدوا معتدلين على نحو ما؟

فيلدمان . في تركيا، كانوا معتدلين نسبيا عندما رشحوا أنفسهم، اعتقد أن في المناخ الديمقراطي تتطلب البراغماتية أن يهيئ المرء لينتخب ثانية. فما دمت تسعى إلى انتخابك ثانية، فما بوسعك الحكم بطريقة تفقدك محبة جزء كبير من الشعب. بالمقابل في إيران، حيث جاؤوا إلى السلطة عن طريق الثورة، لا يمكنهم أن يبيحوا لأنفسهم اتخاذ إجراءات قمعية يرفضها الشعب بشدة. يوجد اختلاف واضح بين الوصول إلى السلطة عن طريق وسائل مشروعة وبين الوصول إلى السلطة بالقوة.

ترجمة وإعداد (المدى)

باتجاه مطار بغداد:

عين على الطريق وأخرى على المتمردين

جون بورنز

يسميه العراقيون طريق الموت. أما الجنود الامريكان فيعدّونه "زقاق العبوات الناسفة"، نسبة الى المتفجرات التي توضع على طول الطريق السريع، وفي شوارع الاحياء الواقعة على طريق المطار. والانتحاريون في السيارات محزمون بالمتفجرات، يترصدون الطريق بانتظار الارتال الامريكية والاهداف الاخرى. ويندس المتمردون وسط المارة بسياراتهم ذات الزجاج المظلل، وفي لحظة ينزلون زجاج السيارة ويطلقون النار، واحيانا يتنكرون بهيئة عمال على الطريق، فيقومون بزرع سلسلة من قذائف المدفعية على الطريق، وبعدها يفجرونها بواسطة اجهزة فتح ابواب الكراجات او الهواتف النقالة. و لكن الامر تسبب في اثارة ايطاليا بسبب مصرع احد ضباط استخباراتها في مطلع هذا العام، ولاقرار القيادة العسكرية الامريكية علنا بان الانتقال بالسيارة على طريق المطار هو شكل من اشكال الروليت الروسي. يعد هذا الطريق هو الاكثر خطورة من بين مناطق العراق، لدى الصحفيين، والجنود والقادة. ويسمى هذا الطريق ايضا بالطريق الايرلندي، وهو اسم رمزي عسكري لهذا الطريق السريع المنحني شرقا باتجاه ما كان يسمى في يوم ما "مطار صدام الدولي". وتحيط به احياء مثل العامرية، والحمراء، والجهاد، والقادسية التي كانت معاقل انصار صدام حسين. ومثل الاحياء عبر نهر دجلة، قبالة مقر صدام في القصر الجمهوري، فان تلك الاحياء هي اكثر من ان تكون احياء شعبية، واخرى تعج بالقصور التي تظللها الاشجار- يسكنها من اجل التمويه الموالون لصدام. فقد كان صدام في غاية الحذر من ان يتعرض لعملية اغتيال، ولهذا شيد ضواحي مؤيدة له في النقاط الاستراتيجية حول المدينة لحمايته من الهجمات. ولما احتلت القوات الامريكية بغداد، اصبحت تلك الاحياء مخابئ للمتمردين. ومنها برزت احدى سخريات الحرب الشرسة. فقبل سنتين، كان طريق المطار المحطة الاخيرة في الطريق الذي سلكته الدبابات الامريكية الغازية، التي انطلقت من موطئ القدم الاول لها في بغداد، أي المطار، للاستيلاء على القصر الجمهوري. والان، فان مجمع القصر الجمهوري، الذي سمي بالمنطقة الخضراء، هو مقر السفارة الامريكية، والحكومة العراقية الجديدة، واصبح طريق المطار يبين الكيفية التي يتحصن فيها الوجود الامريكي في العراق. لقد اثبت التمرد بأنه يتحرك بشكل ينذر بالخطر، من خلال تغيير تكتيكاته التي حظيت باحترام القادة الامريكان، في حين يكن لهم العراقيون الاحتقار بسبب عدم اكتراث المتمردين الواضح بارواح المدنيين، الذين هم اكثر ضحاياهم عددا. عليه هناك ثابت واحد في طريق المطار، هو ان السير فيه رحلة ممقوتة، خصوصا من جانب الاجانب، بل انها اصبحت دليلهم الشخصي على حالة الحرب. لكن اغلب ضحايا الطريق هم من العراقيين الابرياء، الذين اصيبوا بالهجمات التي كانت تستهدف الاجانب. في حين قتل ما لا يقل عن ١٠ غربيين منذ اواسط نيسان، بضمنهم مارلا روزيكا، ٢٨ عاماً وهي متطوعة من ليكبورت(كاليفورنيا)، والتي كانت تطالب الكونغرس بتقديم مساعدات امريكية مقابل الخسائر التي يتكبدها الناس في العراق وافغانستان من جراء الهجمات الامريكية. ففي ١٦ نيسان، انفجرت عبوة ناسفة في الطريق خلف رتل من عجلات الهامفي، فاصابت سيارة السيدة روزيكا وقتلت اربعة اشخاص، بضمنهم عراقيون. وبعد اربعة ايام، قتل ثلاثة اجانب آخرين بهجوم بالرشاشات على مسافة ميل واحد من المطار. وفي تقرير نشره على الانترنيت جيمس يكير احد الناجين من الحادث،وهو مقاول امني عمل في السابق مخبرا سريا في مجال المخدرات في كامدين، قال فيه أن وحدة عسكرية امريكية مختصة بالعبوات التي توضع على الطريق اوقفت الرتل على مسافة ميل الى الغرب من المطار من قبل. وذكر السيد يكير بأنه لاحظ سيارة متوقفة بدت أنها للمتمردين- و فيها عراقي يتحدث بالهاتف النقال- في شارع باحد الاحياء الموازية للطريق السريع. و خلال دقائق، خرجت سيارة سبورت بيضاء ذات زجاج مظلل على الطريق المحاذي، واستدارت وخفضت زجاج الشبابيك، واطلق منها النار فقضت على حياة ثلاثة من المقاولين، هم امريكي، وكندي واسترالي، ثم هربت. قال السيد يكير " اردت ان اقتل الارهابيين، و لكن لم يكن هنالك من يعلمني بالاتجاه او المسافة. ". لقد اصبح الطريق مخيفا حتى ان احدى الشركات الامنية الامريكية اعلنت اوائل هذا العام بأنها ستسير سيارة تاكسي مصفحة بين المطار وفندق شيراتون. كانت كلفة نقل الشخص الواحد ذهابا او ايابا ٢٣٩٠ دولارا، و ربما هي اغلى سيارة اجرة تقلك الى المطار في العالم. ولكن ان كان السفر على الطريق بواسطة هامفي، او بسيارة مصفحة او بسيارة عائلة عراقية او تاكسي، فان الوصول بامان هو مناسبة للاحتفال، و للاحساس بالحظ- او بفضل العناية الالهية. " حالما ادخل الى الشارع او انطلق الى المطار من المدينة، ابتدى بتلاوة آيات من القران لتهدئة نفسي"، هذا ما يقوله محمود الدليمي، ٥٢ عاماً، و هو عامل صيانة في المطار ويعمل سائق تاكسي في ايام العطل. واضاف: " لا اعلم متى يحل دوري كي اصبح ضحية، و لكني كمسلم اؤمن بان لي قدرا محتوما، لذلك فاني اثق بالله، و اترك كل شيء له". في العام الماضي، منع على الدبلوماسيين الامريكان و البريطانيين والزوار المهمين استخدام الطريق، وباتوا يتنقلون من والى المطار بواسطة مروحية مجهزة بمدافع، حيث تستغرق الرحلة الى المنطقة الخضراء ١٠ دقائق. و في زيارة في شباط، لاحظت السيناتوره هيلاري رودهام كلنتون بأنها كانت قد قطعت المسافة بواسطة سيارة خلال رحلة سابقة، في ديسمبر ٢٠٠٣، و اتخذت من ذلك التغيير مثلا على المدى الذي تدهورت فيه الحالة الامنية. يفضل السائقون العراقيون، خصوصا اولئك الذين يعملون مع الاجانب، المسير بالانحراف نحو ممر السير الايمن لتجنب القنابل المدفونة في الوسط. و البعض يراوغ عندما يقترب من الجسور لكي يحبطوا محاولات المتمردين اذا ما رموا متفجرات من فوق. و لكن كما هو معتاد، فان الرحلة عبارة عن عملية زحف مخيف تستغرق ساعة، لان الزحام يشتد خلف الارتال الامريكية- او بسبب الفوضى التي تعقب الهجمات التي تحدث بين الحين و الاخر. وتضع بعض الدوريات الامريكية عبارات باللون الاحمر بالعربية والانكليزية تطلب من السائقين الابتعاد مسافة"١٠٠ متر" والا فهم في خطر الموت. وتتطلب الاجراءات وجود مسلحين في ابراج عجلاتهم يلوحون بقبضة مشدودة لمن يقترب منهم من قادة المركبات، او يلوحون بقناني الماء او بلوحات، أو يطلقون رصاصات تحذيرية قبل التسديد صوب السائقين. ولكن ذلك غالبا ما يشكل مصدرا لاثارة الغضب في بغداد، لان حاملي البنادق قد فتحوا النار وقتلوا او اصابوا عراقيين لا دخل لهم بالتمرد، لكنهم ببساطة لم يكونوا على بينة من اجراءات الامريكان، او ان صبرهم نفد من البقاء خلف الرتل. ويبقي القادة الامريكان الخسائر البشرية سرا، فمن الواضح أنهم قلقون على معنويات الجنود الامريكان، او مستخدمي الطريق الآخرين. قبل اصدار تقرير نتيجة التحريات حول مصرع نيكولا كاليباري، ضابط المخابرات الايطالية، قال قادة كبار مرارا بان مخاطر الطريق مبالغ فيها مقارنة بمخاطر المناطق الاخرى في العراق. فقد قال العميد مارك نيل مساعد قائد الفرقة الثالثة مشاة، المسؤولة عن بغداد، قبل ظهور تقرير كاليباري: " لا الاحظ أي شيء غير طبيعي على الطريق الايرلندي". عندما نشر التقرير، محيت منه ارقام الهجمات على الطريق. و لكن تم اظهار ما محي من طريق الكومبيوتر، فبانت حالات القلق التي كانت تنتاب الجنود الامريكان في ٤ آذار عندما اطلقوا النار على سيارة الـ"تويوتا سيدان" التي كانت تقل السيد كاليباري وجوليانا سكرينا، وهي صحفية ايطالية كانت قد انقذت قبل دقائق من الحادث، بعد ان كانت رهينة لدى المتمردين لمدة شهر. قيل بان هنالك ١٧ هجوما انتحاريا بالسيارات وقع بمناطق أخرى في العراق خلال الاسبوع الذي سبق مقتل كاليباري، وقد تم تعميم ذلك على جميع الوحدات الامريكية على شكل رسائل"كن حذرا". قال التقرير بان ١٣٥ هجوما شن على الطريق خلال الاشهر الاربعة لغاية اذار، بضمنها ١٥ عملية انتحارية بالسيارة، و ١٤ هجوما بالصواريخ. ولكن حتى ان تلك الارقام ربما تستخف بالمخاطر. فقد ذكر احد تقارير هذا العام اعدته شركة امنية غربية بان هجمات طريق المطار قد اشتملت على ١٤ عملية انتحارية بسيارة في تشرين الثاني وكانون الاول من العام الماضي فقط، وهو ما يشكل ضعف العدد المذكور في تقرير كاليباري. وقال التقرير :" ان العدو ماهر جدا في اخفاء كميات كبيرة من المتفجرات داخل عجلة". وسط تلك التحديات الخطرة جدا التي تواجهها عملية قيادة السيارة، يظهر تمثال يعرف بالرجل المجنح. يمثل التمثال عباس بن فرناس، ذلك الفلكي من شمال افريقيا الذي تقول الاسطورة بأنه قد بنى آلة بدائية للطيران في العام ٨٧٥ وتمكن بواسطتها من الطيران الانسيابي نزولا من تل خارج قرطبة. ان جناحيه المدودين يشيران الى نقطة حيث يتم فيها توديع المسافرين الذين ينوون المغادرة عبر منطقة المطار الأمنة، او لتحية القادمين بسلام. ثمة شخص يدعى احمد هاشم(٢٧ سنة) وهو مهندس كردي، وصل بسلام الى الرجل المجنح و الفرح باد عليه. فقال: " عندما اكون على طريق المطار، اشعر بأنه لا يفصلني عن العالم الاخر سوى شعرة". أما الجنود الامريكان، فواجب الخروج بدورية على شارع المطار يشكل امرا ممقوتا جدا. يحاول بعض الجنود غلق ابواب الهامفي بـ"قفل المعركة"، وهذا اجراء يشبه قفل الباب باحكام ليكون البيت اكثر امنا، لكنها عملية تعرقل الخروج. والعديد منهم، مثل حال العراقيين، ينطلقون وهم يرددون الصلوات، ومع ذلك يشعرون بالعذاب.

ترجمة / المدى
عن / النيويورك تايمز